﴿شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ وحتى الذين لهم أرجل وأيد طائلة وأعين مبصرة وآذان سامعة، لا يستطيعون نصركم بل ولا أنفسهم ينصرون.

ذلك، فاحتمال أن النفس الواحدة هنا أبو البشر، فضلاً عن ظهور الآية أو صراحتها فيه كما الخصم يدعيه لا يأتي بشيء ينال من كرامة آدم عليه السلام إلّا باحتمالات أخرى لو ثبت:

الأول: رجوع ضمير الغائب في ﴿لِيَسْكُنَ﴾ و﴿تَغَشَّىٰهَا﴾ إلى خصوص النفس الواحدة هذه، وهو خلاف الأدب الفصيح والصحيح أن يرجع الضمير المذكر إلى مرجع مؤنث هو ﴿نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ فالصحيح هنا لو عنيت نفس النفس الواحدة ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ و﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ بضميري التأنيث كما في ضميري ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حيث هما راجعان إلى ﴿نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وفقاً لتأنيثها، إذا فلا تعني «ليسكن وتغشى» إلّا جنس النفس الواحدة من ذكور بني الإنسان دون شخصها، وليس من المحتمل رجوع ضمير المذكر هنا إلى ﴿زَوْجَهَا﴾ لأنوثتها الحقيقية، ولأن الزوج هو الذي يسكن إلى زوجته من الأتعاب كما ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾[1].

الثاني: أن تعني ﴿شُرَكَآءَ﴾ شخص إبليس حسب الرواية المختلقة، والجمع لا يناسبه، فهم - إذاً - الشركاء المعبودون لجنس بني الإنسان.

الثالث: رجوع ضمير الجمع في ﴿يُشْرِكُونَ﴾ وما أشبه من بضع وعشرين إلى خصوص آدم وزوجه والفصيح الصحيح رجوعه إلى الجمع دون المثنى، إضافة إلى استقبال تلكم الجموع، والمثنى ماض فقد رجع الضمير المفرد الغائب في «ليسكن وتغشاها» إلى نوع مرجعه وهو كل ذكر من ذلك النوع لا شخصه، استخداما لطيفاً في ذلك الإرجاع.

وهكذا ترجع ضمائر الجمع أيضاً من ﴿يُشْرِكُونَ﴾ وما أشبه إلى جمع

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

الأزواج من نوع الإنسان، أي يشركون هؤلاء الأزواج، استخداماً لطيفاً حيث هو من المجازات الحسنة اللطيفة.

ثم من قال لكم - بعد - إن ﴿نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هنا هي شخص آدم إلّا على وجه أن «من» في ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ نشوية لا جنسية، والجنسية هي المعنية هنا للذكورة في «ليسكن وتغشاها» والجمعية في بضع وعشرين، فلا تدل الآية على ما تستدل به الجمعية المرسلون الأمريكيون إلّا على احتمال اختصاص ﴿نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ بآدم، ورجوع ضمير الذكورة إلى مؤنث ﴿نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ ورجوع ضمائر الجمع هنا إلى مثناهما رغم استقبال افعالها، ثالوث من الاحتمالات التي لا تحتملها هذه الآيات، اللّهم إلا أولاها دون الأخريين.

ذلك، فالقصة كما ترى تتحدث عن سيرة عامة لأفراد هذا النوع إلّا من رحمه الله وهداه، أنهم مهتمون بنقض مواثيقهم وخلف مواعيدهم مع الله نقضاً لنداء الفطرة والعقلية السليمة: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

والذي غفل عنه كلا الناقدين، والموجهين لآلية بوجوه غير وجيهة ولا مرضية، هو تحسّب أن هذه الآيات عرض عن الحالة الوالدية لأبوينا الأولين، وهي بعيدة عنها كل البعد.

ذلك لأن ﴿خَلَقَكُمْ﴾ تعم كل بني الإنسان، و﴿نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هنا هي الوالد لكل مولود منهم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ قد تعني والحال انه تعالى جعل من جنسها زوجها فخلقكم منهما اعتباراً بأصالة زائدة بين الأصلين للزوج الوالد على الزوجة الوالدة، «جعل ليسكن إليها»: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1] فالأصل في التقاء الزوجين هو السكن ليظل السكون والأمن جو المحضن الذي تنمو فيه الفراخ الزغب: فليس لمجرد اللذة، إلا ذريعة تجذبهما إلى هذه العشرة

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

العشيرة على أتعابها وأسغابها، فاللذة العابرة والنزوة العارضة هما اللتان تتغلبان على كل الحوادث والكوارث في ذلك الالتقاء.

﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ جماعاً ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ هو النطفة الجرثومية «فمرت به» وذلك هو الحمل الأول فهي تبين حال الأبوين من النوع الإنساني في انجابهما أولادهما باعتبار العام النوعي دون اختصاص بالأولين، ولا جمع خاص من الأبوين، ولا شمولهما للأولين، حيث تعني أن كل إنسان وليد أبويه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾[1].

والغالب على حال الأبوين - وهما محبان مشفقان شغفان على ولدهما - أن ينقطعا في أمرهم إلى الله قبل ولادهم، دون التفات إلى تفصيل ذلك الانقطاع، وكما ينقطع راكب البحر - إذا التطمت أمواجه وأخذت تلعب به - إلى الله، فالإنسان في هذه الحالة المضطربة ينقطع في لب ذاته إلى ربه وإن لم يكن موحداً ولا معترفاً بأصل الألوهة، ولكنه ينسى ربه أو يتناساه بعد ما نجى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[2].

كذلك للأبوين - نوعياً - انقطاع إلى ربهما في أمر الأولاد، يريدان صلاح الولادة ويشترطان بطبيعة الحال أن يكونا له شاكرين، فلما أجيبت دعوتهما إذا هما يشركان بالله وينثلان ما عاهدا عليه الله، وهذه حالة النوع الإنساني إلّا من عصمه الله كآدم وسائر المعصومين والصالحين الموحدين على طول الخط.

إذاً ففرية الشرك على أبوينا الأولين مبنية على فرية أخرى هي الخلط وعدم التناسب بين هذه الضمائر ومراجعها، وهل ترى عاقلاً منصفاً يزيف

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

المعني من مقالة صادقة لا لشيء إلا الخبط والخلط في لفظية التفسير، كاعتبار المؤنث مذكراً في حالة ومؤنثا في أخرى، واعتبار التثنية جمعاً أو الجمع تثنية والشريك الواحد شركاء والشركاء واحداً! وهكذا ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ نزل الكتاب هدى للصالحين وهو بنفسه دون شركاء يتولى الصالحين ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ أياً كانوا «لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ. وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَسْمَعُوا» هؤلاء المشركون، كمثل شركائهم ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ كـ كرسول تدعو إلى الهدى، إنما يبصرون شركاءهم فهم عليها عاكفون.

فهذه الآيات - بالرغم من روايات شيطانية[1] وتخيّلات واهية - لا تدل - ولا لمحة - على ما يمس من الكرامة التوحيدية لأبوينا الأولين.

(١) نور الثقلين ٢: ١٠٨ في تفسير القمي حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن محمد بن النعمان الأحول عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما علقت حوا من آدم عليه السلام وتحرك ولدها في بطنها فقالت لآدم: إن في بطني شيئاً يتحرك فقال لها آدم: أبشري إن الذي في بطنك نطفة مني استقرت في رحمك يخلق الله منها خلقاً ليبلونا فيه فأتاها إبليس فقال لها: كيف أنتم؟ فقالت له: أما إني قد علقت وفي بطني من آدم ولد يتحرك، فقال لها إبليس: إما إنك إن نويت أن تسميه عبد الحارث ولدتيه غلاماً وبقي وعاش، وإن لم تنوي أن تسميه عبد الحارث مات بعدما تلدينه بستة أيام، فوقع في نفسها مما قال لها شيء فأخبرت بما قال لها آدم فقال لها آدم: قد جاءك الخبيث لا تقبلي منه فإني أرجو أن يبقى لنا ويكون خلاف ما قال لك ووقع في نفس آدم مثل ما وقع في نفس حوا من مقالة الخبيث، فلما وضعته لم يعش إلا ستة أيام حتى مات فقالت لآدم قد جاءك الذي قال لنا الحارث فيه، ودخلهما من قول الخبيث ما شككهما فلم تلبث أن علقت من آدم حملاً آخر فأتاها إبليس فقال لها: كيف أنتم؟ فقالت له: قد ولدت غلاماً ولكنه مات يوم السادس، فقال لها الخبيث: أما إنك لو كنت نويت أن تسميه عبد الحارث لعاش، وان ما هو الذي في بطنك كبعض ما في بطون هذه الأنعام التي بحضرتكم، إما بقرة وإما ناقة وإما ضأن وإما معز، فدخلها من قول الخبيث ما استمالها إلى تصديقه والركون إلى ما أخبرها الذي كان تقدم إليها في الحمل الأول، فأخبرت بمقالته لآدم فوقع في قلبه من قول الخبيث مثل ما وقع في قلب حوا ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩-١٩٠] أي لم تلد ناقة أو بقرة أو ضأنا أو معزاً فأتاها الخبيث فقال لها: كيف أنتم؟ فقالت له: قد أثقلت وقربت =

فـ ﴿نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ كما تحتمل آدم عليه السلام حيث خلق منه الجميع برمتهم، كذلك تحتمل كل والد من هذا النوع حيث خلق منهم المجموع، كل من كلّ على الأبدال، وتحتملهما - أيضاً - معاً، أن خلق المجموع من نفس واحدة كما خلق الجميع من نفس واحدة، مهما اختلف خلق عن خلق، في تسلسل الانتشاء كما من آدم، أم فرديته كما من كل ذكر لهذا النوع.

ثم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ كما تحتمل أمّنا الأولى أن جعلت من أبينا خلقاً منه، ثم جعلت له زوجاً، كذلك تحتمل كافة الأمهات حيث جعلت في الخلق كالآباء في المجانسة الإنسانية المؤاتية للزواج، وجعلت في التشريع محلّلة لذلك التزاوج.

= ولادتي، فقال: أما إنك ستلدين وترين من الذي في بطنك ما تكرهين، ويدخل آدم منك ومن ولدك شيء لو قد ولدتيه ناقة أو بقرة أو ضأنا أو معزاً لكان أحسن، فاستمالها إلى طاعته والقبول لقوله، ثم قال لها: اعلمي إن أنت نويت أن تسميه عبد الحارث وجعلت لي فيه نصيباً ولدتيه غلاماً سوياً وعاش وبقي لكم، فقالت: فإني قد نويت أن أجعل لك فيه نصيباً، فقال لها الخبيث: لا تدعين آدم حتى ينوي مثل ما نويت ويجعل لي فيه نصيباً ويسميه عبد الحارث، فقالت له: نعم، فأقبلت على آدم فأخبرته بمقالة الحارث وبما قال لها فوقع في قلب آدم من مقالة إبليس ما خافه فركن إلى مقاتلة إبليس وقالت حوا لآدم لئن أنت لم تنو أن تسميه عبد الحارث وتجعل للحارث فيه نصيباً لم أدعك تقربني ولا تغشاني ولم يكن بيني وبينك مودة، فلما سمع منها آدم قال لها: أما إنك سبب المعصية الأولى وسيدليك الغرور، قد تابعتك وأجبت إلى أن أجعل للحارث فيه نصيباً وأن أسميه عبد الحارث، فأسرّ النية بينهما بذلك فلما وضعته سوياً فرحاً بذلك وأمنا ما كانا خافا من أن يكون ناقة أو بقرة أو ضأنا أو معزاً وابلا أن يعيش لهما ويبقى ولا يموت يوم السادس، فلما كان يوم السابع سمياه عبد الحارث.

أقول: هذه من الروايات الشيطانية التي اختلقها عباد الحارث ونسبوها إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام، وعوذاً بالله من هذه الهرطقات الزور والغرور التي دسها في أحاديثنا الغرور، نعوذ بالله منه ومن أتباعه.

ذلك، وقد افترى مثلها على النبي صلى الله عليه وآله كما في الدر المنثور ٣: ١٥١ عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره. أقول: بل نفس الرواية هي من وحي الشيطان.!

فـ «من» في الأول نشوية حيث انتشأت الأم الأولى من الأب الأول، والجعل يعم التكوين والتشريع، وهي في الثانية جنسية والجعل نفس الجعل حيث يعمهما.

ثم ﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ الحاملة ضمير المذكر - كما في - تغشاها - لا تعني تغشية خاصة بأبوينا الأولين، حيث المرجع وهو ﴿نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ تستحق أنوثة الراجع إليه قضية الأدب الصحيح أو الفصيح، ولكيلا يشتبه أمر العناية من ذلك التغشي بما بعده من ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾.

ومن ثم ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ﴾ تحمل الحمل الأوّل لأقل تقدير، فلا تحمل على الحمل غير الأول كما حملتها روايات شيطانية تشيطن أبوينا في حقل الحمل! ثم ﴿يُشۡرِكُونَ﴾ وما بعدها من الجموع المستقبلة لمن يشركون، تدل بجمعيتها واستقبالها أنها ليست لتعني أبوينا الأولين، لأنهما اثنان ماضيان دون جمع مستقبل.

كما و﴿شُرَكَآءَ﴾ وما بعدها من الجموع لا تناسب شخص الشيطان المضلل إياهما في هذه الرواية الشيطانية.

فسواء أكانت «نفس واحدة وزوجها» هما خصوص أبوينا الأولين، أم وبأحرى كل الآباء والأمهات، أم المجموع من الأولين وسائر الآباء والأمهات، فـ «ليسكن - تغشاها» وما تتلوها من عرض لما استعرض، لا تناسب إلّا نسل الإنسان ككلّ وبطبيعة الحال، إلا من رحم الله.

فذلك - إذاً - عرض للحالة التي عليها الأكثرية الساحقة من هذا النوع[1]، وكما ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾

(١) نور الثقلين ٢: ١٠٧ في عيون الأخبار في باب مجلس الرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عن علي بن محمد الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام فقال له المأمون يا بن رسول الله أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى =

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[١] فإنها وما أشبه تقرر الأصل الأكثري بطبيعة الحال لقبيل الإنسان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[٢] «وإلا».

فلا تعني الآية أبوينا الأولين بلا كرامة حتى في إشراك طاعة[٣] فضلاً عن إشراك عبادة.

فليست هذه الآيات الكريمة لتمس من كرامة أبوينا الأوّلين إلّا بتأويلات عليلة مختلقة لا تناسب أدب اللفظ ولا حدب المعنى لهذه الآيات.

= قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]؟ قال: إن حوا ولدت لآدم خمسمائة بطن في كلّ بطن ذكر وأنثى وإن آدم وحوا عاهدا الله تعالى ودعواه وقالا: لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين.
فلما آتاهما صالحاً من النسل خلقاً سوياً بريئاً من الزمانة والعاهة كان ما آتاهما صنفين: صنفا ذكراناً وصنفا إناثاً فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء في ما آتاهما «ولم يشكرا» كشكر أبويهما له عَزَّوَجَلَّ، قال الله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] فقال المأمون: «أشهد أنك ابن رسول الله حقاً» وفي الدر المنثور ٣: ١٥٢ عن ابن عباس قال: «ما أشرك آدم، إن أولها شكر وآخرها مثل ضربه لمن بعده». وفيه عن السدي في قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] هذه فصل بين آية آدم، «خاصة في آلهة العرب» وفيه عن أبي مالك في الآية قال: هذه مفصولة أطاعاه في الولد ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] هذه لقوم محمد «وقال الحسن: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا، وعنه أيضاً قال: يعني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده، وقال: هذا في الكفار يدعون الله فإذا آتاهما صالحاً هوداً ونصراً».

(١) سورة المعارج، الآية: ١٩.

(٢) سورة العصر، الآية: ٣.

(٣) المصدر في تفسير القمي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ في الآية قال: هو آدم وحواء وإنما كان شركهما شرك طاعة ولم يكن شرك عبادة فأنزل الله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ - إلى قوله - فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠] قال: جعلا للحارث نصيباً في خلق الله ولم يكن شركاء إبليس في عباده، ثم قال: أيشركون مالاً يخلق شيئاً وهم يخلقون.

وليس إقحام أمثال هذه المختلقات الزور التي دسها الغرور في رواياتنا إلا من شيطنات الشياطين، عمداً وعلماً وعناداً من الذين يعلمون، وجهالة وحماقة من بسطاء المسلمين مؤلفين وسواهم.

فحذار حذار من تنقل هذه الروايات الشيطانية، التي تبزر آيات من القرآن كأنها آيات شيطانية، اللّهم إلا تزييفاً لها حين تنقل[١].

(١) ومن جراء هذه الروايات الشيطانية تؤلف كتابات شيطانية تسمي القرآن «آيات شيطانية» تناصراً من شيطانين اثنين في هذا البين، شيطان العناد والتزييف لساحة القرآن العظيم من ملحدين، وشيطان الحماقة ممن يتسمون مسلمين والله منهما براء على سواء، إن لم تكن الشيطنة الثانية أشطن حيث تفسح مجالات لهذه الشيطنات، وتخيّل إلى بسطاء المسلمين كأنها صادرة عن مصدر الوحي المعصوم!

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿خُذِ﴾ هنا لا تختص برسول الهدى ولا سيما ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ وهو معصوم عن نزغ الشيطان فإنه من أفضل المخلصين وقد ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1] ونزغ الشيطان إغواء تسمو عنه ساحة الرسالة القدسية.

إذاً فـ ﴿خُذِ﴾ هي لأقل تقدير تعم كافة المكلفين، ثم يستثنى الرسول ﷺ عن نزغ الشيطان.

وترى ما هو ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ الذي يؤمر هنا بأخذه؟ أهو - فقط - العفو عمن

(١) سورة ص، الآيتان: ٨٢، ٨٣.

ظلمك؟ وصيغته الخاصة: أعف عمن ظلمك، ولأن العفو تستعمل بمختلف المتعلّقات أم دون متعلّق، وهي هنا طليقة عن أي تعلق، فالقصد منها هنا كل معانيها المناسبة للأخذ: فـ «عفاه» تعني قصده متناولاً ما عنده، وعفت الريح الدار قصدتها متناولة آثارها، وعفوت عنه قصدت إزالة ذنبه، والعفو هو الزيادة كما في ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[١] أي الزائد عن الحاجة، ومن العفو الوسط، إذا فـ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ قد تعم أخذ العفو من الأموال، فـ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾[٢] قد تقيدها بالزكوات المفروضة المقررة بأنصبتها كضريبة مستقيمة، ولكن ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ تعني أخذ الزائد عن الحاجة من الأموال وهو ضريبة غير مستقيمة، كما وتعني أخذ هذه الطريقة لنفسه أن ينفق الزائد من ماله للمحاويج.

ثم ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ عن الناس، أن تعفو عمن ظلمك[٣] والعفو في الأمور هو الوسط فيها دون إفراط ولا تفريط. وكما يروى عن النبي ﷺ أنه قال لما نزلت هذه الآية: أمرت أن آخذ العفو من أخلاق الناس[٤] إذ قد تعني بين الإفراط والتفريط.

ثم ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ قد تعني نفس الأمر عرفاً كما الأمر بالعرف، فليكن

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.
(٣) الدر المنثور ٣: ١٥٥، أخرج البيهقي في شعب الإيمان من طريق وهب بن جرير عن أبيه قال: كنت جالساً عند الحسن إذ جاء رجل فقال: يا أبا سعيد ما تقول في العبد يذنب الذنب ثم يتوب؟ قال: لم يزدد بتوبته من الله إلا دنواً، قال: ثم عاد في ذنبه ثم تاب؟ قال: لم يزدد بتوبته إلا شرفاً عند الله، قال ثم قال لي: ألم تسمع ما قال رسول الله ﷺ؟ قلت: وما قال؟ قال:
(٤) المصدر - أخرج ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق عن إبراهيم بن أدهم قال: لما أنزل الله وفي نور الثقلين ٢: ١١١ في تفسير العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام ان الله أدب رسول الله ﷺ فقال: «يا محمد خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين» قال: خذ منهم ما ظهر وما تيسر والعفو الوسط.